المبحث الرابع عشر: صبره الجميل

للنبي محمد مواقف في الدعوة إل ى الله تدل على صبره، ورغبتـه فيمـا عنـد الله تعالى، ومن المعلوم أنـه صـبر فـي جميع أحواله ابتداءً بدعوته السرية حـتى لَقِيَ ربه صـابراً محتسـباً، وأمثلـة صـبره في دعوته كثيرة جـداً لا تحصـر، ولكنـي أقتصـر علـى إيـراد الأمثلـة التطبيقيـة الآتية:

المثـال الأول: صـعوده علـى الصفا ونداؤه العام:

أمر الله نبيه بإنذار عشـيرته الأقربيـن، فقـال عـز وجـل:

 [1].

فقـام رسـول اللـه بتنفي ذ أم ر ربـ ه بـالجهر بالـدعوة والصـدع بهـا، وإنـذار عشيرته، فوقـف مواقـف حكيمـة أظهـر اللـه بهـا الـدعوة الإسـلامية، وبيّـن بهـا حكمـة النـبي وشـ جاعته، وصـ بره،

---

[1] () سورة الشعراء، الآيات: 214-216.

وحســـن خلقـــه، وإخلاصـــه للـــه رب العـــالمين، وقَمَـــعَ بهـــا الشـــرك وأهلـــه، وأذلهم إلى يوم الدين.

عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قـــال: لمـــا نزلـــت [illegible] صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: «**يا بني فهـر، يـا بنـي عـــدي**» – لبطـــون قريـــش – حـــتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هـو، فجـاء أبو لهب، وقريش، فقال: «**أرأيتكم لـو أخبرتكم أن خيلاً بـالوادي تريـد أن تغيـر عليكـم، أكنتـم مصـدقي؟**» قـالو: نعـم، مـا جربنـا عليـك إلا صِدْقاً. قـال: «**فـإني نـذير لكـم بيـن يـدي عذاب شديد**». فقال أبو لهب: تبًّا لـك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: [illegible] [1].

وفـي روايـة لأبـي هريـرة – ﷺ – أنـه

---

[1] () البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، باب وأنذر عشيرتك الأقربين 8/501، = = 737، برقم 4770، و6/551، ومسلم بنحوه في كتاب الإيمان، باب قوله: وأنذر عشيرتك الأقربين 1/194، برقم 208 ، والآيتان من سورة المسد: 1، 2.

نـاداهم بطنـاً بطنـاً، ويقـول لكـل بطـن: **«أنقذوا أنفسكم من النار...»**، ثـم قال: **«يا فاطمة أنقذي نفسك من النار؛ فإني لا أملك لكم مـن اللـه شيئاً، غيـر أن لكـم رحمـاً سـأبلها ببلاها»**[1].

وهـذه الصـحية العالميـة غايـة البلاغ، وغاية الإنذار، فقد أوضح لأقرب الناس إليه أن التصديق بهذه الرسالة هـو حيـاة الصـلة بينـه وبينهـم، وأوضـح أن عصـبية القرابة الـتي يقـوم عليهـا العـرب ذابـت في حرارة هـذا الإنـذار، الـذي جـاء مـن عند الله تعالى، فقد دعـا قـومه – فـي هـذا الموقـف العظيـم – إلـى الإسـلام، ونهاهم عن عبادة الأوثـان، ورغّبهـم فـي الجنة، وحـذّرهم مـن النـار، وقـد مـاجت مكـة بالغرابـة والاسـتنكار، واسـتعدت لحسـم هـذه الصـرخة العظيمـة الـتي سـتزلزل عاداتهـا وتقاليـدها وموروثاتهـا الجاهليـة؛ ولكـن الرسـول الكريـم لـم يضرب لصـرخاتهم حسـاباً، لأنـه مرسـل

---

[1] () البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، سورة الشعراء، باب وأنذر عشيرتك الأقربين 8/501، برقم 4771، 5/382، ومسلم، كتاب الإيمان، باب: وأنذر عشيرتك الأقربين 1/192، برقم 206.

مـن اللـه – عـز وجـل -، ولابـد أن يبلـغ البلاغ المبين عن رب العالمين، حتى ولو خالفه أو رد دعوته جميـع العـالمين، وقـد فعل [1].

استمر يدعوا إلى الله – تعالى – ليلاً ونهاراً، وسرّاً وجهاراً، لا يصرفه عن ذلك صارف، ولا يردّه عن ذلك رادّ، ولا يصدّه عن ذلك صادّ، استمر يتتبع النـاس فـي أنـديتهم ومجـامعهم ومحـافلهم، وفـي المواسم ومواقف الحج، يدعو مـن لقيـه من: حـر وعبـد، وقـوي وضـعيف، وغنـي وفقيـر، جميـع الخلـق عنـده فـي ذلـك سواء.

وقـد تسـلَّط عليـه وعلـى مـن اتبعـه الأشـداء الأقويـاء مـن مشـركي قريـش بالأذية القولية والفعلية، وانفجـرت مكـة بمشاعر الغضب؛ لأنها لا تريد أن تفـارق عبادة الأصنام والأوثان [2]، ومـع ذلـك لـم يفـتر محمـد فـي دعـوته، ولـم يـترك العنايـة والتربيـة الخاصـة لأولئـك الـذين دخلـوا فـي الإسـلام، فقـد كـان يجتمـع

---

1 () انظر: الرحيق المختوم ص 78، وفقه السيرة لمحمد الغزالي ص 101، 102، والسيرة النبوية، دروس وعبر لمصطفى السباعي ص 47.

2 () البداية والنهاية 3/40.

بالمسلمين في بيوتهم على شـكل أسـر بعيدة عـن أعيـن قريـش، وتتكـون هـذه الأسـر مـن الأبطـال الـذين عقـد عليهـم رسول الله الأمل بعـد اللـه – تعالى – في حمل العبء والمهام الجسمية لنشر الإسلام، وبذلك تكونت طبقة خاصة مـن المؤمنين الأوائل قوية في إيمانها، متينـة في عقيدتها، مدركة لمسئوليتها، منقـادة لأمر ربها، طائعة لقائـدها، مطبقـة لكـل أمر يصدر عنه برغبة وشـوق وانـدفاع لا يعادله اندفاع، وحب لا يساويه حب.

وبهـذه المواقـف الحكيمـة، والتربيـة الصـالحة المتينـة اسـتطاع محمـد أن يؤدي الأمانة، ويرسـم لنـا طريقـاً نسـير عليه في دعوتنـا وعملنـا وسـلوكنا، فهـو قدوتنا وإمامِنـا الـذي نسـير علـى هـديه، ونستنير بحِكَمِهِ .

فقد بدأ الدعوة بعناصر اختارها ورباها، فلبت الدعوة، وآمنت به، وكـانت دعـوته عامة للناس، وأثنـاء هـذه الـدعوة يُركِّـزُ على من يجد عندهم الإمكانات أو يتوقـع منهم ذلك، وقد تكوَّن من هـذه العناصـر نواة القاعـدة الصـلبة الـتي ثبتـت عليهـا

أركان الدعوة[1].

ومـع هـذا الجهـد المبـارك العظيـم لـم يلجـأ رسـول اللـه إلى الاغتيال السياسـي، ولـم يتخلـص بالاغتيـال مـن أفراد بأعينهم، وكان بإمكانه ذلـك وبكـل يسر وسهولة، إذ كان يستطيع أن يكلـف أحد الصـحابة بقتـل بعـض قـادة الكفـر: كالوليـد بـن المغيـرة المخزومـي، أو العاص بن وائل السـهمي، أو أبـي جهـل عمرو بن هشام، أو أبي لهب عبد العزى إبن عبد المطلب، أو النضر بن الحـارث، أو عقبـة بـن أبـي معيـط، أو أبّـي بـن خلف، أو أمية بـن خلـف...، وهـؤلاء هـم من أشد الناس أذية لرسول الله ، فلم يأمر أحداً من أصحابه باغتيال أحد منهـم أو غيرهم من أعداء الإسـلام؛ فـإن مثـل هذا الفعل قد يُوْدي بالجماعة الإسـلامية كاملة، أو يعرقـل مسـيرتها مـدة ليسـت باليسيرة، كرد فعل مـن أعـداء الإسـلام الذين يتكالبون على حربه، والنـبي لـم يؤمر فـي هـذه المرحلـة باغتيـالهم؛ لأن الذي أرسله هو أحكم الحاكمين.

وعلى هذا يجب أن يسـير الـدعاة إلـى

---

[1] () التاريخ الإسلامي، لمحمود شاكر 2/65.

الله فوق كـل أرض، وتحـت كـل سـماء، وفي كل وقت، يجـب أن تكـون الـدعوة علـى حسـب المنهـج الـذي سـار عليـه رسـول اللـه سـواء كـان ذلـك قبـل الهجـرة أو بعـدها، فطريـق الـدعوة الصحيح هو هديه والتزام أخلاقه وحكمـه وتصرفاته على حسب ما أرادها [1].

المثـال الثـاني: مـع اضـطهاد سادات قريش

رأت قريـش أن تجـرب أسـلوباً آخـر تجمـع فيـه بيـن الـترغيب والـترهيب، فلترسل إلى محمـد تعـرض عليـه مـن الدنيا ما يشاء، ولترسل إلى عمـه الـذي يحميه تحذره مغبـة هـذا التأييـد والنصـر لمحمـد ، وتطلـب منـه أن يكـف عنهـا محمداً ودينه[2].

جاءت سادات قريش إلى أبي طـالب فقـالوا لـه: يـا أبـا طـالب، إن لـك سـناً وشرفاً ومنزلة فينا، وإنـا قـد اسـتنهيناك من ابـن أخيـك فلـم تنهـه، وإنـا واللـه لا نصبر على هذا، مِنْ: شَتْم آبائنا، وتسفيه

---

1 () انظر: التاريخ الإسلامي، لمحمود شاكر 2/65.
2 () انظر: البداية والنهاية لابن كثير 3/41، وفقه السيرة لمحمد الغزالي ص 112.

أحلامنا، وعيب آلهتنا، حتى نكفـه عنـا، أو ننازله وإياك في ذلـك، حـتى يهلـك أحـد الفريقين.

فعظـم علـى أبـي طـالب هـذا الوعيـد والتهديـد الشـديد، وعظـم عليـه فـراق قـومه وعـداوته لهـم، ولـم يطـب نفسـاً بإسلام رسـول اللـه لهـم، ولا خـذلانه، فبعث إلى رسول الله فقال لـه: يا ابن أخي، إن قومك جاءوني فقـالوا لـي كـذا وكذا، للذي كانوا قـالوا لـه، فـأبق عليّ وعلى نفسك، ولا تحمّلني من الأمر ما لا أطيق أنا ولا أنت، فاكفف عن قومك مـا يكرهون من قولك.

فثبت النبي ^ على دعوته إلى الله، ولم تأخذه في الله لومة لائم؛ لأنـه علـى الحق، ويعلم بأن الله سينصر دينه ويُعلي كلمته، وعندما رأى أبو طالب هذا الثبـات ويئس من موافقة النبي ^ لقريش على ترك دعوته إلى التوحيد قال:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أُوسَّد في التراب دفينا

فاصـدع بـأمرك مـا منك عيونا[1] عليك غضاضةً

المثال الثالث: مع عتبة بن ربيعة

بعد أن أسلم حمزة بن عبـد المطلـب، وعمـر بـن الخطـاب أخـذت السـحائب تنقشـع، وأقلـق هـذا الموقـف الجديـد مضـاجع المشـركين، وأفزعهـم وزادهـم هـولاً وفزعـاً تزايـد عـدد المسـلمين، وإعلانهم إسلامهم، وعدم مبالاتهم بعـداء المشركين لهم، الأمر الذي جعـل رجـال قريش يساومون رسول اللـه ، فبعـث المشركون عتبة بن ربيعة ليعـرض علـى رسـول اللـه أمـوراً لعلـه يقبـل بعضـها فيُعطى من أمور الدنيا ما يريد.

فجاء عتبة حتى جلس إلى رسول اللـه ، فقال: يا ابن أخي إنكَ منا حيث قـد علمـت مـن السـطة[1] فـي العشـيرة، والمكـان فـي النسـب، وإنـك قـد أتيـت قومك بأمر عظيم فرَّقت بـه جمـاعتهم، وسفَّهت به أحلامهـم، وعِبْـتَ بـه آلهتهـم

---

[1] () انظر: سيرة ابن هشام 1/278، وانظر: البداية والنهاية 3/42، وفقه السيرة للغزالي ص 114، والرحيق المختوم ص 94.

[1] () يعني: المنزلة الرفيعة. انظر: المصباح المنير، مادة "سطا" ص 276، والقاموس المحيط، باب الواو، فصل السين ص 1670.

ودينهـم، وكفَّـرت بـه مـن مضـى مـن آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أمـوراً تنظر فيها لعلك تقبل منهـا بعضـها، قـال رسـول اللـه ﷺ: «**قل أبا الوليد أسمع**»، قال: يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بمـا جئـت بـه مـن هـذا الأمـر مـالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكـون أكثرنـا مـالاً، وإن كنـت إنمـا تريـد بـه شـرفاً سوّدناك علينا حتى لا نقطع أمـراً دونـك، وإن كنت تريـد بـه مُلكـاً ملّكنـاك علينـا، وإن كـان هـذا الـذي يأتيـك رئيـاً تـراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منـه، فـإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه.. حتى إذا فرغ عتبة، ورسول اللـه ﷺ يستمع منه، قال: «**أقد فرغت يـا أبـا الوليد؟**» قال: نعـم، قـال: «**فاستمع منـي**» قـال: أفعـل، فقـال: ﷺ [illegible]

[illegible] [1]. ثم مضى رسول اللـه فيما يقرؤها عليه، فلما سمعها منه عتبة أنصت لها، وألقـى يديه خلـف ظهـره معتمداً عليهـا يسـمع منه، ثم انتهى رسول الله إلى السجدة منها فسجد، ثم قال: «**قد سـمعت يـا أبـا الوليـد مـا سـمعت فـأنت وذاك**»[2].

وفي رواية أخرى أن عتبة استمع حـتى جاء الرسول إلى قـوله تعـالى: [illegible] [3]، فقام مذعوراً فوضع يده على فم رسول الله يقول: أنشـدك اللـه والرحـم، وطلـب منـه أن يكف عنه، فرجع إلى قومه مسرعاً كـأن الصواعق ستلاحقه، وإقترح على قريش أن تـترك محمـداً وشـأنه، وأخـذ يرغبهـم في ذلك[4].

---

1 () سورة فصلت، الآيات: 1-5.

2 () أخرج هذه القصة ابن إسحاق في المغازي 1/313 من سيرة ابن هشام، قال الألباني: وإسناده حسن إن شاء الله. انظر: فقه السيرة للغزالي ص 113، وتفسير ابن كثير 4/61، والبداية والنهاية 3/62، والرحيق المختوم ص 103.

3 () سورة فصلت، الآية: 13.

4 () انظر: البداية والنهاية 3/62، وتاريخ الإسلام للذهبي، قسم السيرة ص 158، وفقه السيرة لمحمد

لقد تخير رسـول اللـه بفضـل اللـه – تعالى -، ثم بحكمته العظيمة هذه الآيات من الوحي؛ ليعرف عتبة حقيقة الرسالة والرسول، وأن محمداً يحمل كتاباً من الخالق إلى خلقه، يهـديهم مـن الضـلال، وينقذهم من الخبال، ومحمد قبل غيره مُكلّف بتصـديقه والعمـل بـه، والوقـوف عند أحكامه، فإذا كان الله – عز وجـل – يـأمر النـاس بالاسـتقامة علـى أمـره، فمحمـد أولى الناس بذلك، وهو لا يطلب ملكاً ولا مالاً ولا جاهاً، لقـد مكّنـه الله من هذا كلـه، فعـفّ عنـه وترفّـع أن يمد يديه إلى هـذا الحطـام الفـاني؛ لأنـه صادق في دعوته، مخلص لربه، [5].

وهذا موقف من أعظم مواقـف الصـبر والحكمة التي أوتيهـا النـبي ، فهو قد ثبت وصدق في دعوته، ولم يرد مالاً، ولا جاهاً، ولا ملكـاً، ولا نكاحـاً، مـن أجـل أن يتخلـى عـن دعـوته، وقـد اختـار الكلام المناسب في الموضـع المناسـب، وهـذا هـو عيـن الحكمـة والخلـق الحسـن العظيم.

الغزالي ص 114، وهذا الحبيب يا محبّ ص 102، وتفسير ابن كثير 4/62.

() انظر: فقه السيرة لمحمد الغزالي ص 113.

المثال الرابع: مع أبي جهل

قــرر المشــركون ألا يــألو جهــداً فــي محاربة الإسلام وإيذاء النبي ومن دخل معه في الإسلام، والتعـرض لهـم بـألوان النكال والإيلام.

ومنذ جهـر النـبي بـ دعوته إلـ ى اللـ ه، وبـيّـن أباطيـل الجاهليـة، انفجـرت مكـة بمشاعر الغضب، وظلت عشــرة أعــوام تعـدّ المسـلمين عصـاة ثـائرين فزلزلـت الأرض مـن تحـت أقـدامهم، واسـتباحت فــي الحــرم الآمــن دمــاءهم وأمــوالهم وأعراضـــهم، وصـــاحبت هـــذه النـــار المشتعلة حرب من السخرية والتحقيـر، والاسـتهزاء والتكـذيب، وتشـويه تعـاليم الإسلام، وإثارة الشبهات، وبث الدعايات الكاذبة، ومعارضة القرآن، والقــول بــأنه أسـاطير الأوليـن، ومحاولـة المشـركين للنبي أن يعبـ د آلهتهـ م عامـ اً، ويعبـ دون الله عاماً! إلى غير ذلك من مفاوضـاتهم المضحكة!

واتهمــوا النــبي بـ الجنون، والسـ حر، والكذب والكهانة، والنـبي ثـ ابت صـ ابر محتسـب يرجـو مـن اللـه النصـر لـدينه،

وإظهاره[1].

لقد نال المشركون من النبي م ا إ م ينالوه من كثير من المـؤمنين، فهـذا أبـو جهل يعتـدي علـى النـبي ليعفـ ر وجهـ ه في التراب، ولكن اللـه حمـاه منـه، ورد كيده في نحره، فعـن أبـي هريـرة – – قـال: قـال أبـو جهـل: هـل يُعَفِّـر محمـد وجهـه بيـن أظهركـم؟ قـال: قيـل: نعـم. فقال: واللات والعزى، لئـن رأيتـه يفعـل ذلك لأطأن على رقبته، أو لأعفِّرنَّ وجهه في الـتراب، قـال: فـأتى رسـول اللـه وهو يصلي، زعم ليطأ على رقبته. قـال: فما فجئهـم[2] منـه إلا وهـو ينكـص علـى عقبيه[3]، ويتقي بيديه، قـال: فقيـل لـه: مالك؟ فقال: إن بيني وبينه لخنـدقاً مـن نار، وهولاً، وأجنحة، فقال رسول الله : **«لو دنـا منـي لاختطفتـه الملائكـة عضواً عضواً»**. قال: فأنزل الله – ع ز

---

1 () انظر: فقه السيرة لمحمد الغزالي ص 106، والرحيق المختوم ص 80، 82، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر 2/85، 88، 91، 93، 94، وهذا الحبيب يا محبّ ص 110.

2 () ويقال أيضاً: فجأهم، أي بغتهم. انظر: شرح النووي 17/140.

3 () يرجع يمشي إلى ورائه. انظر: المرجع السابق 7/140.

وجـــــــــــــــــل -:
  إلى آخر السورة[1].

وقد عصم الله النبي من هذا الطاغية ومـن غيـره، وصـبر علـى هـذا الأذى العظيـم ابتغـاء وجـه اللـه – تعـالى -، فضحّى بنفسه وماله ووقتـه فـي سـبيل الله تعالى.

**المثـال الخـامس: وضـع السَّـلا على ظهره **

ومما أُصيب بـه محمـد من الأذى ما رواه ابـن مسـعود – – قال: بينما رسـول اللـه يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب لـه جلـوس، وقـد نُحِـرت جـزور بـالأمس، فقـال أبـو جهـل: أيكـم يقوم إلى سَلَا[2] جزور بني فلان فيأخـذه فيضـعه علـى ظهـر محمـد إذا سـجد، فـانبعث أشـقى القـوم[3] فأخـذه، فلمـا

1 () أخرجه مسلم في كتاب المنافقين، باب قـوله تعالى: 4/2154 ، برقم 2797، وانظر: شرح النووي 17/140.

2 () السّلا: هو اللفافة التي يكون فيها الولد في بطن الناقة وسائر الحيوان، وهي من الآدمية: المشيمة. انظر: شرح النووي 12/151.

3 () هو عقبة بن أبي مُعيط، كما صرح في رواية لمسلم في صحيحه 3/1419.

سجد النـبي وضـعه بيـن كتفيـه، قـال: فاستضحكوا، وجعل بعضـهم يميـل علـى بعـض، وأنـا أنظـر، لـو كـانت لـي منعـة طرحته عن ظهر رسول اللـه ، والنبي ساجد مـا يرفـع رأسـه، حـتى انطلـق إنسـان فـأخبر فاطمـة، فجـاءت وهـي جويرية، فطرحته عنه، ثم أقبلـت عليهـم تشتمهم، فلما قضى النبي صلاته، رفع صوته، ثم دعا عليهم، وكان إذا دعـا دعـا ثلاثـاً، وإذا سـأل سـأل ثلاثـاً، ثـم قـال: «**اللهم عليك بقريش**» ثلاث مـرات، فلما سمعوا صوته ذهب عنهـم الضـحك، وخافوا دعوته، ثم قال: «**اللهم عليـك بأبي جهل بـن هشـام، وعتبـة بـن ربيعة، وشيبة بـن ربيعـة، والوليـد بن عتبة، وأمية بن خلـف، وعقبـة بن أبـي معيـط**»، وذكـر السـابع ولـم أحفظه، فوالـذي بعـث محمـداً بـالحق لقد رأيت الذي سمّى صرعى يـوم بـدر، ثم سحبوا إلى القليب، قليب بدر[1].

---

[1] () البخاري مع الفتح، في كتاب الوضوء، باب إذا ألقيَ على ظهر المصلي قذر أو جيفة لم تفسد عليه صلاته 1/349، برقم 240، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي من أذى المشركين والمنافقين 2/1418، برقم 1794 .

المثال السـادس: مـع عقبـة بـن أبي معيط

ومن أشد ما صنع بـه المشـركون مـا رواه البخاري في صحيحه عن عروة بـن الزبير، قال: قلت لعبد الله بن عمرو بن العـــاص: أخـــبرني بأشـــد مـــا صـــنع المشركون برسول اللـه ؟ قـال: بينمـا رسول الله يصلي في حجر الكعبـة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فأخـذ بمنكـب رسـول اللـه ولـوى ثـوبه فـي عنقـه، فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر، فأخذ بمنكبه، ودفعه عن رسول اللـه وقـال: [illegible] (1).

وقد اشتد أذى المشركين لرسول اللـه ولأصـحابه، حـتى جـاء بعـض الصـحابة

---

1 () سورة غافر، الآية: 28.
والحديث في البخاري مع الفتح، في كتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي وأصحابه من المشركين بمكة 7/165، برقم 3856، وكتاب التفسير، سورة المؤمن 8/553، وكتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي : ((لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً)) 7/22، برقم 3678.
واللفظ ملفّق من كتاب المناقب وكتاب التفسير.

إلى رسول الله يستنصره، ويسأل منه الدعاء والعون، ولكن النبي الحكيم واثق بنصر الله وتأييده، فإن العاقبة للمتقين.

عن خباب بن الأرت - - قال: شكونا إلى رسول الله وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، [ولقد لقينا من المشركين شدة]، فقلنا: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا؟ فقال: **«قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد [ما دون عظامه من لحم وعصب]، فما يصده ذلك عن دينه، والله ليُتَمَّنَّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»**[1].

---

[1] () البخاري مع الفتح في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام 6/619، برقم 3612، وفي كتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي وأصحابه من المشركين بمكة 7/164، برقم 3852، وفي كتاب الإكراه، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر 12/315، برقم 6943، واللفظ من كتاب الإكراه، وما بين المعكوفين من مناقب الأنصار.

وهكذا اشتد أذى قريـش علـى رسـول الله وعلى أصحابه، وما ذلك كله إلا مـن أجـل إعلاء كلمـة اللـه، والصـدع بـالحق، والثبـات عليـه، والـدعوة إلـى التوحيد الخالص، ونبـذ عـادات الجاهليـة وخرافاتها ووثنيتها.

المثـال السـابع: مـع زوجـة أبـي لهب

لقي النبي أشد الأذى، ووصل الأمر إلى تغييـر اسـمه احتقاراً لـه ولدينه، وحسداً وبغضاً لـه، فقد كان المشـركون من قريش من شدة كراهتهم للنـبي لا يُسـمّونه باسـمه الـدّال علـى المـدح فيعـدلون إلـى ضـده، فيقولـون: مُـذمّم، وإذا ذكـروه بسـوء قـالوا: فعـل اللـه بمـذمم، ومـذمم ليـس هـو اسـمه ولا يُعرف به، فكان الذي يقع منهم في ذلك مصروفاً إلى غيره بحمد الله تعالى[1].

قال : «**ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شـتم قريـش، ولعنهـم؟! يشتمون مـذمماً، ويلعنـون مـذمماً،**

---

[1] () انظر: فتح الباري 6/558.

وأنا محمد»[1].

والنبي ﷺ لـه خمسة أسـماء ليـس منهـا مُذَمَّماً[2].

جاءت أم جميل زوجة أبي لهب – حين سمعت ما أنزل اللـه فيهـا وفـي زوجهـا مـن القـرآن – إلـى رسـول اللـه ﷺ وهـو جالس في المسجد عنـد الكعبـة، ومعـه أبو بكر الصديق، وفي يـدها ملـء الكـف من حجارة، فلما وقفت عليهما أخذ اللـه ببصرها عن رسول الله ﷺ فلا ترى إلا أبـا بكر، فقالت: يا أبا بكر! أين صاحبك؟ قد بلغنـي أنـه يهجـوني، واللـه لـو وجـدته لضربت بهذا الفهر فـاه، أمَـا واللـه إنـي لشاعرة، ثم قالت:

مُذَمَّـمَـاً عصينا وأمره أبينا
ودينه قلينا[3]

اسـتمر المشـركون فـي إلحـاق الأذى برسول الله ﷺ وبأصحابه الـذين أسـلموا،

---

1 () البخاري مع الفتح، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ 6/554، برقم 3533 .

2 () انظر: البخاري مع الفتح، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ 6/554، برقم 3532 .

3 () انظر: سيرة ابن هشام 1/378، ومعنى قولها: قلينا: أي أبغضنا. انظر: تفسير ابن كثير 4/523.

وبعــد أن زاد عــدد المســلمين وكــثر عــددهم ازداد حنــق المشــركين علــى المســلمين، وبســطوا إليهــم أيــديهم وألسنتهم بالسوء، ولما رأى رسول اللـه ذلك، ورأى أنه في حماية الله ثم عمه أبـي طـالب، وهـو لا يسـتطيع أن يمنـع المسلمين ممـا هـم فيـه مـن العـذاب – فقد مات منهـم مـن مـات، وعُـذِّب مـن عذب حـتى عمـي وهـو تحـت العـذاب – فأذن رسول الله لأصحابه بـالهجرة إلـى الحبشة، فكان أهل هذه الهجـرة الأولـى اثنى عشر رجلاً، وأربع نسوة، ورئيسـهم عثمان بـن عفـان ، ذهبـوا فوفَّـقَ اللـه لهــم ســاعة وصــولهم إلــى الســاحل ســفينتين، فحملــوهم فيهــا إلــى أرض الحبشــة، وكــان ذلــك فــي رجــب، فــي السـنة الخامسـة مـن البعثـة، وخرجـت قريش في آثارهم حتى جاءوا البحر فلم يــدركوا منهــم أحــداً، ثــم بلــغ هــؤلاء المهاجرين أن قريشاً قد كفوا عن النـبي فرجعوا إلى مكـة مـن الحبشـة، وقبـل وصولهم مكة بساعة من نهار بلغهـم أن الخبر كذب، وأن قريشـاً أشـد مـا كـانوا عداوة لرسـول اللـه فـدخل مـن دخـل مكـة بجـوار، وكـان مـن الـداخلين ابـن

مسعود، ووجد أن ما بلغهم من إسلام أهل مكة كان باطلاً، فلم يدخل منهم أحد إلا بجوار – كابن مسعود – أو مستخفياً، ثم اشتد البلاء من قريش على من دخل مكة من المهاجرين وغيرهم، ولقوا منهم أذىً شديداً، فأذن لهم رسول الله في الخروج إلى الحبشة مرة ثانية، وكان عدد من خرج في هذه المرة الثانية ثلاثة وثمانين رجلاً، إن كان فيهم عمار بن ياسر، ومن النساء تسعة عشرة امرأة، فكان المهاجرون في مملكة أصحمة النجاشي آمنين، فلما علمت قريش بذلك أرسلت للنجاشي بهدايا وتحف ليردهم عليهم، فمنع ذلك عليهم، ورد عليهم هداياهم، وبقي المهاجرون في الحبشة آمنين حتى قدموا إلى رسول الله عام خيبر[1].

المثال الثامن: حبسه في الشعب

---

[1] () انظر: زاد المعاد لابن القيم 3/23، 36، 38، والرحيق المختوم ص 89، وهذا الحبيب يا محب ص 120، وسيرة ابن هشام 1/343، والبداية والنهاية 3/66،= = والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر 2/98، 109، وتاريخ الإسلام للذهبي، قسم السيرة ص 183.

ولمـا رأت قريـش انتشـار الإسـلام، وكثرة مـن يـدخل فيـه، وبلغهـا مـا لقـي المهاجرون في بلاد الحبشة، من إكـرام وتـأمين، مـع عـودة وفـدها خائبـاً، اشـتد حنقها علـى الإسـلام، وأجمعـوا علـى أن يتعاقـدوا علـى بنـي هاشـم، وبنـي عبـد المطلـب، وبنـي عبـد منـاف، وأن لا يبـايعوهم، ولا ينـاكحوهم، ولا يكلمـوهم، ولا يجالسـوهم، حـتى يسـلّموا إليهـم رسـول اللـه وكتبـوا بـذلك صـحيفة وعلقوها في سقف الكعبـة، فانحـاز بنـو هاشـم، وبنـو عبـد المطلـب مـؤمنهم وكافرهم إلا أبا لهب، فإنه بقي مظـاهراً لقريش على رسـول اللـه وعلـى بنـي هاشم، وبني عبد المطلب.

وحُبِسَ رسول اللـه في شـعب أبـي طالبَ ليلة هلال محرم، سـنة سـبع مـن البعثـة، وبقـوا محصـورين محبوسـين، مضـيقاً عليهـم جـداً، مقطوعـاً عليهـم الطعـام والمـادة نحـو ثلاث سـنين حـتى بلغهـم الجهـد، وسُـمِعَ أصـوات صـبيانهم بالبكاء من وراء الشعب، ثـم أطلـع اللـه رسوله على أمر الصـحيفة، وأنـه أرسـل عليها الأرضة فأكلت جميع مـا فيهـا مـن

جور وقطيعة وظلـم إلا ذكـر اللـه – عـز وجل -، فـأخبر عمـه بـذلك، فخـرج إلـى قريش فأخبرهم أن محمداً قد قـال كـذا وكذا، فإن كان كاذباً خلينـا بينكـم وبينـه، وإن كـان صـادقاً رجعتـم عـن قطيعتنـا وظلمنـا، قـالوا: قـد أنصـفت، فـأنزلوا الصحيفة، فلما رأوا الأمـر كما أخـبر بـه رسول الله ازدادوا كفراً إلى كفرهم، وخـرج رسـول اللـه ومن معه من الشعب بعـد عشـرة أعـوام مـن البعثـة، ومات أبو طالب بعد ذلـك بسـتة أشـهر، وماتت خديجـة بعـده بثلاثـة أيـام، وقيـل غير ذلك[1].

ولما نُقِضَتِ الصحيفة وافق مـوت أبـي طالب وموت خديجة وبينهما زمن يسير، فاشـتد البلاء علـى رسـول اللـه من سفهاء قومه، وتجـرؤوا عليـه فكاشـفوه بالأذى، فازدادوا غماً على غم حتى يئس منهـم، وخـرج إلـى الطـائف رجـاء أن يسـتجيبوا لـدعوته أو يـؤووه أو ينصـروه على قومه، فلم ير مـن يـؤوي، ولـم يـر

1 () انظر: زاد المعاد 3/30، وسيرة ابن هشام 1/371، البداية والنهاية 3/64، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر 2/109، 127، 128، وتاريخ الإسلام للذهبي – قسم السيرة ص 126، 137، والرحيق المختوم ص 112.

ناصراً، وآذوه مع ذلك أشد الأذى، ونـالوا منه ما لم ينله من قومه[1].

المثال التاسع: مع أهل الطائف

فـي شـوال، مـن السـنة العاشـرة مـن النبوة، خرج النبي إلى الطائف لعله يجد في ثقيف حسن الإصغاء لدعوته والانتصـار لها، وكان معه زيد بن حارثة مـولاه، وكـان في طريقه كلما مر على قبيلة دعاهم إلى الإسلام، فلم تُجِبْه واحدة منها.

عنـدما وصـل إلـى الطـائف عمـد إلـى رؤسـائها فجلـس إليهـم، ودعـاهم إلـى الإسـلام، فـردوا عليـه رداً قبيحـاً، وأقـام رسول الله بين أهل الطائف عشرة أيام، لا يدع أحداً من أشـرافهم إلا جـاءه وكلمه، فقالوا: اخرج من بلادنـا، وأغـروا بـه سـفهاءهم وصـبيانهم، فلمـا أراد الخروج تبعـه هـؤلاء السـفهاء واجتمعـوا عليه صَفَّين يرمونه بالحجـارة، وبكلمـات مـن السـفه، ورجمـوا عراقيبـه حـتى اختضـب نعلاه بالـدماء، وكـان زيـد بـن حارثة يقيه بنفسه حتى أصابه شجاج في رأسه، ورجع رسول الله من الطائف

---

[1] () انظر: زاد المعاد 3/31، والرحيق المختوم ص 113.

إلى مكـة محزونـاً، كسـير القلـب، وفـي طريقه إلى مكة أرسل الله إليـه جبريـل ومعـــه ملـــك الجبـــال يســـتأمره أن يطبـق الأخشـبَيْن علـى أهـل مكـة، وهما جبلاها اللذان هي بينهما[1].

عن عائشـة – رضـي اللـه عنهـا – أنهـا قالت لرسول الله : يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد مـن يـوم أحـد؟ فقال: «**لقد لقيت مـن قومـك [مـا لقيت]، وكان أشد ما لقيت منهـم يـوم العقبـة، إذ عرضـت نفسـي علـى ابـن عبـد ياليـل بـن عبـد كلال[2]، فلم يجبني إلى مـا أردت، فـانطلقت وأنـا مهمـوم علـى وجهـي، فلـم أسْـتَفِق إلا بقـرن الثعالب[3]، فرفعـت رأسـي، فـإذا أنا بسحابة قـد أظلتنـي، فنظـرت فإذا فيها جبريل، فناداني: فقال: إن الله – عز وجل – قد سمع قول**

---

1 () انظر: زاد المعاد 3/31، والرحيق المختوم ص 122، وهذا الحبيب يا محبّ ص 132، والبداية والنهاية 3/135.

2 () ابن عبد ياليل بن كلال من أكابر أهل الطائف من ثقيف. الفتح 6/315.

3 () وهو ميقات أهل نجد، ويقال لـه: قرن المنازل، ويعرف الآن بالسيل الكبير. انظر: الفتح 6/315.

قومك لـك، ومـا ردُّوا عليـك، وقـد بعث إليك ملك الجبال لتـأمره بمـا شئت فيهم، قـال: فنـادانى ملـك الجبال وسلم علـيّ، ثـم قـال: يـا محمـد! إن اللـه قـد سـمع قـول قومك لك، وأنا ملك الجبـال، وقـد بعثني ربي إليـك لتـأمرني بأمرك فما شـئت[1]؟ إن شـئت أن أطبِـق عليهم الأخشبين». فقـال لـه رسـول الله : **«بل أرجو أن يخرج اللـه من أصـلابهم مـن يعبـد اللـه وحـده لا يشرك به شيئاً»**[2].

وفي هذا الجواب الذي أدلى به رسول الله تتجلى شخصيته الفذة، وما كان عليه من الخلق العظيم الذي أمـده اللـه به.

وفـي ذلـك بيـان شـفقته علـى قـومه، ومزيد صبره وحلمه، وهذا موافق لقـوله

---

1 () استفهام، أي: فأمرني بما شئت. انظر: فتح الباري 6/316.

2 () البخاري مع الفتح في كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر لـه ما تقدم من ذنبه 6/312، برقم 3231، ومسلم بلفظه في كتاب الجهاد والسير باب ما لقي النبي من أذى المشركين والمنافقين 3/1420، برقم 1795، وما بين المعكوفين من البخاري دون مسلم.

تعـــــــــالى: ﴿ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ ﴾[2]. فصلوات الله وسلامه عليه[3].

وأقـام ﷺ بنخلة أياماً، وصمم على الرجـوع إلـى مكـة، وعلـى القيـام باسـتئناف خطتـه الأولـى فـي عـرض الإسـلام وإبلاغ رسـالة اللـه الخالـدة، بنشاط جديد، وجد وحماس، وحينئذ قال لـه زيـد بـن حارثـة: كيـف تـدخل عليهـم وقد أخرجـوك؟ فَـرُوي عنـه[4] أنـه قـال: **«يا زيد، إن اللـه جاعـل لمـا تـرى فرجـاً ومخرجـاً، وإن اللـه ناصـر دينه، ومظهر نبيه»**.

ثم سار حتى وصـل إلـى مكـة فأرسـل رجلاً من خزاعـة إلـى مطعـم بـن عـدي ليدخل في جـواره، فقـال مطعـم: نعـم، ودعا بنيه وقومه فقال: البسـوا السـلاح، وكونوا عند أركان البيت، فإني قد أجرت محمداً، فدخل رسول اللـه ﷺ ومعـه زيـد

1 () سورة آل عمران، الآية: 159.
2 () سورة الأنبياء، الآية: 107.
3 () انظر: فتح الباري لابن حجر 6/316، والرحيق المختوم ص 124.
4 () انظر: زاد المعاد، لابن القيم 3/33.

بـن حارثـة حـتى انتهـى إلـى المسـجد الحرام، فقـام المُطعـمُ بـن عـدي علـى راحلته فنادى: يا معشر قريش إنـي قـد أجـرت محمـداً فلا يهجـه أحـد منكـم، فـانتهى رسـول اللـه إلـى الركـن فاستلمه وصلى ركعتين، وانصـرف إلـى بيته، والمطعم بن عدي وولده محـدقون به بالسلاح حتى دخل بيته[1].

وفـي هـذه المواقـف العظيمـة الـتي وقفها النـبي في رحلته إلى الطائف دليل واضح علـى تصـميمه الجـازم فـي الاستمرار في دعوته وعـدم اليـأس مـن استجابة الناس لهـا، وبَحَـثَ عـن ميـدان جديـد للـدعوة، بعـد أن قـامت الحـواجز دونها في ميدانها الأول.

وفي ذلك دليـل علـى أن النـبي كان أسـتاذاً فـي الحكمـة، وذلـك لأنـه حينمـا قـدم الطـائف اختـار الرؤسـاء وسـادة ثقيـف فـي الطـائف وقـد علـم أنهـم إذا أجابوه أجابت كل قبائل أهل الطائف.

وفي سيل الدماء مـن قـدمي النـبي -

---

[1] () انظر: زاد المعاد 3/33، وسيرة ابن هشام 2/28، والبداية والنهاية 3/137، والرحيق المختوم ص 125.

وهو النبي الكريم - أكبر مثـل لمـا يتحملـه الداعية في سبيل الله من أذى واضطهاد.

وفي عـدم دعـائه علـى قـومه، وعلـى أهل الطائف، وعدم موافقة مَلَك الجبال في إطباق الأَخْشَبيْن على أهل مكة أكبر مثل لما يتحمله الداعية في صبره علـى مـن رد دعـوته، وعـدم اليـأس مـن هدايتهم، فربما يخرج اللـه مـن أصـلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئا.

ومن حكمته أنه لم يدخل مكـة إلا بعـد أن دخـل فـي جـوار المُطعـم بـن عـدي، وهكـذا ينبغـي للداعيـة أن يبحـث عمـن يحميه من كيد أعدائه؛ ليقوم بدعوته علـى الوجه المطلوب[1].

المثال العاشر: مع أهل الأسواق والمواسم

باشـر النـبي دعـوته فـي مكـة بعـد عودته من الطائف في شهر ذي القعـدة سنة عشر من النبـوة، فبـدأ يـذهب إلـى المواسم التي تقام فـي الأسـواق مثـل: عكاظ، ومجنة، وذي مجاز، وغيرها، التي تحضـرها القبائـل العربيـة للتجـارة

---

1 () انظر: السيرة النبوية دروس وعبر لمصطفى السباعي ص 58، وهذا الحبيب يا محبّ ص 134.

والاسـتماع لمـا يُلقـى فيهـا مـن الشـعر ويعرض نفسه على هذه القبائل يـدعوها إلى الله – تعـالى -، وجـاء موسـم الحـج لهذه السنة فأتـاهم قبيلـة قبيلـة يعـرض عليهـم الإسـلام كمـا كـان يـدعوهم منـذ السنة الرابعة من النبوة.

ولم يكتف رسول الله بعرض الإسلام على القبائل فحسـب، بـل كـان يعرضـه على الأفراد أيضاً.

وكـان يُرَغِّـبُ جميـع النـاس بـالفلاح، فعن عبـد الرحمـن بـن أبـي الزنـاد عـن أبيه، قال: أخبرني رجل يقال لـه: ربيعـة بن عباد، من بنـي الـديل، وكـان جاهليـاً، قـال: رأيـت النـبي في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقـول: «**يـا أيهـا النـاس قولـوا لا إلـه إلا اللـه تفلحـوا**»، والنـاس مجتمعـون عليـه، ووراءه رجـل وضـئ الـوجه، أحـول، ذو غديرتين، يقول: إنه صابئ كـاذب، يتبعـه حيث ذهـب، فسـألت عنـه، فـذكروا لـي نسب رسول الله وقالوا: هذا عمه أبو لهب[1].

---

[1] () أخرجه أحمد 4/341، 3/492، وسنده حسن، وله شاهد عند ابن حبان = = برقم 1683 (موارد) من حديث طارق بن عبد الله المحاربي،

وقد كانت الأوس والخزرج يحجُّون كما تجــج العــرب دون اليهــود، فلمــا رأى الأنصــار أحــواله ودعـ وته، عرفـ وا أنـ ه الــذي تتوعــدهم بــه اليهــود، فــأرادوا أن يسبقوهم؛ ولكنهم لم يبايعوا النبي في هذه السنة، ورجعوا إلى المدينة[1].

وفي موسم الحـج مـن السـنة الحاديـة عشرة من النبوة، عرض النــبي نفسـ ه على القبائــل، وبينمــا الرســول يعـ رض نفسه، مر بعقبة مِنَى فوجد بها ستة نفر من شباب يثرب، فعرض عليهم الإسلام، فأجابوا دعوته، ورجعوا إلى قومهم وقــد حملوا معهم رسالة الإسلام حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله [2].

ثم استدار العام وأقبل الناس إلى الحــج

والحاكم المستدرك بإسنادين، وقال عن الإسناد الأول: صحيح على شرط الشيخين، رواته كلهم ثقات أثبات 1/15.

1 () انظر: زاد المعاد 3/43، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر 2/136، والرحيق المختوم ص 129، والبداية والنهاية 3/149، وابن هشام 2/31.

2 () انظر: التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر 2/137، وهذا الحبيب يا محبّ 2/145،= = والرحيق المختوم ص 132، وزاد المعاد 3/45، وسيرة ابن هشام 2/38، والبداية والنهاية 3/149.

سنة اثنتي عشرة مـن النبـوة، وكـان مـن بيـن حجـاج يـثرب اثنـا عشـر رجلاً، فيهـم خمسة من الستة الذين كانوا قد اتصلوا برسول الله في العام السابق، والتقوا حسـب الموعـد مـع رسـول اللـه عند العقبة بمنى، وأسلموا وبايعوا رسول اللـه بيعة النساء[1].

عن عبادة بن الصامت – – أن رسول الله قال وحوله عصابة من أصحابه: **«تعـالوا بـايعوني علـى أن لا تشركوا بالله شـيئاً، ولا تسـرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكـم، ولا تأتوا ببهتانٍ تفترونه بيـن أيـديكم وأرجلكـم، ولا تعصـوني فـي معروفٍ، فمن وفّى منكـم فـأجره على اللـه، ومـن أصـاب مـن ذلـك شيئاً فَعُوقِب بـه فـي الـدنيا فهـو لـه كفارة، ومـن أصـاب مـن ذلـك شيئاً فستره الله عليه فأمره إلـى الله: إن شاء عاقبه، وإن شاء عفا عنه»** فبايعناه على ذلك[2].

---

1 () انظر: زاد المعاد 3/46، والرحيق المختوم ص 139، والتاريخ الإسلامي 2/139، وهذا الحبيب يا محبّ ص 145، وسيرة ابن هشام 2/38.

2 () البخاري مع الفتح، كتاب مناقب الأنصار، باب وفود الأنصار إلى النبي في مكة 7/219، برقم

وبعــد أن انتهــت المبايعــة، وانتهــى الموسم بعث النبي مع هؤلاء مصعب بن عمير – – ليعلم المسلمين شرائع الإسلام؛ وليقوم بنشر الإسلام، وقد قام بذلك – – أتم قيام، وفي موسم الحج في السنة الثالثة عشرة من النبوة حضر لأداء الحج من يثرب ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان، وكلهم قد أسلموا.

فلما قدموا مكة واعدوا النبي عند العقبة، وجاءهم على موعدهم، ثم تكلم رسول الله ، ثم قالوا: يا رسول الله، على ما نبايعك؟ فقال: «**تبايعوني على: السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تقولوا في الله لا تخافون في الله لومة لائم، وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم**

3892، وكتاب الإيمان، باب حدثنا أبو اليمان 1/64، برقم 18.

الجنة»[1]، فقاموا إليه فبايعوه.

وبعـد عقـد هـذه البيعـة جعـل عليهـم رسول الله اثنى عشر زعيماً، يكونون نقبـاء علـى قـومهم، وكـانوا تسـعة مـن الخـزرج، وثلاثـة مـن الأوس، ثـم رجعـوا إلــى يــثرب، وعنــدما وصــلوا أظهــروا الإسلام فيها، ونفع الله بهم فـي الـدعوة إلى الله تعالى[2].

وبعد أن تمت بيعة العقبة الثانية ونجـح النــبي في تأسيس وطن للإســلام، انتشــر الخــبر فــي مكــة كــثيراً، وثبــت لقريش أن النبي قد بايع أهل يثرب، فاشتد أذاهم على من أسـلم فـي مكـة، فــأمر النــبي بالهجرة إلى المدينة، فهاجر المسلمون، فـاجتمع قريـش فـي 26 من شهر صفر سنة 14 مـن النبـوة، وأجمعوا على قتل النبي ، فأوحى الله إلــى النــبي بذلك؛ ولحسن سياسته وحكمته أمر علياً أن يـبيت فـي فراشـه

---

1 () أحمد في المسند 3/322، والبيهقي 9/9، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي 2/624، وحسَّن إسناده الحافظ في الفتح 7/117.

2 () انظر: سيرة ابن هشام 2/49، والبداية والنهاية 3/158، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر 2/142، والرحيق المختوم ص 143.

تلك الليلـة، فبقـي المشـركون ينظـرون إلـى علـيّ مـن صِـير البـاب[1]، وخـرج رسول اللـه ﷺ، ومـر بـأبي بكـر، وهـاجر إلى المدينة[2].

وهذه المواقـف العظيمـة الـتي وقفهـا رسول اللـه ﷺ دليـل واضـح علـى حكمـة النبي ﷺ، وعلى صبره، وشجاعته، وأنـه ﷺ حينمـا علـم بـأن قريشـاً قـد طغـت، ورفضت الدعوة بحـث عـن مكـان يتخـذ فيه قاعدة للدعوة الإسلامية، ولم يكتـف بذلك، بـل أخـذ منهـم البيعـة والمعاهـدة علـى نصـرة الإسـلام، وتـم ذلـك فـي مؤتمرين: بيعة العقبة الأولى، ثم الثانية، وعندما وجـد مكـان الـدعوة الـذي يتخـذ قاعـدة لهـا، ووجـد أنصـار الـدعوة أذن بـالهجرة لأصـحابه، وأخـذ هـو بالأسـباب عندما تآمرت عليه قريش، وهذا لا يعتبر جبناً، ولا فراراً من المـوت؛ ولكـن يعتـبر أخـذاً بالأسـباب مـع التوكـل علـى اللـه

---

1 () صير الباب: هو شق الباب. انظر: المعجم الوسيط، مادة "صار" 1/531.

2 () انظر: سيرة ابن هشام 2/95، والبداية والنهاية 3/175، وزاد المعاد 3/54، والسيرة النبوية دروس وعبر لمصطفى السباعي ص 61، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر 2/148، وهذا الحبيب يا محبّ ص 156.

تعـالى، وهـذه السياسـة الحكيمـة مـن أسباب نجـاح الـدعوة، وهكـذا ينبغـي أن يكون الدعاة إلى الله، فـإن النـبي ه و قدوتهم وإمامهم[1].

المثال الحادي عشر: جُرِحَ وجهه وكسرت رباعيته

عن سهل بن سعد – – أنه سُئِلَ ع ن جرح النبي يوم أحد فق ال: جُ رِحَ وج ه النـبي وكُسِ رَت ربا اعيته، وهُشِ مَتِ البيضـة علـى رأسـه، فكـانت فاطمـة – عليهـا السـلام – تغسـل الـدم، وعلـيٌّ يمسـك، فلمـا رأت أن الـدم لا يرتـد إلا كثرةً أخذت حصيراً فـاحرقته حـتى صـار رماداً ، ثم ألزقته فاستمسك الدم[2].

وقد حصل لـه هذا الأذى العظيم الـذي ترتج لعظمته الجبال، هو نبي الله ول م يدع على قومه، بل دعـا لهـم بـالمغفرة، لأنهم لا يعلمون.

فعن عبد الله بـن مسـعود – – ق ال: كأني أنظر إلى رسول الله يحكي نبيـ ا

---

1 () انظر: السيرة النبوية دروس وعبر ص 68.

2 () البخاري مع الفتح، كتاب الجهاد، باب لبس البيضة 6/96، برقم 2911، ومسلم، كتاب الجهاد، باب غزوة أحد 3/1416، برقم 1790.

من الأنبياء ضربه قومه وهو يمسح الـدم عـن وجهـه، ويقـول: **«اللهـم اغفـر لقومي فإنهم لا يعلمون»**[1].

فالأنبيـاء – عليهـم الصـلاة والسـلام – وعلى رأسهم محمد قـد كـانوا[2] علـى جانب عظيم من الحلم والتصبر، والعفـو والشـفقة علـى قـومهم ودعـائهم لهـم بالهداية والغفران، وعذرهم في جناياتهم على أنفسهم بأنهم لا يعلمون[3]، قال : **«اشتد غضب الله على قوم فعلوا هذا برسول الله »**، وهو حينئذ يشير إلى رباعيته، **«اشتد غضب الله على رجـل يقتلـه رسـول اللـه في سبيل الله عز وجل»**[4].

وفـي إصـابة النـبي يـوم أحـد عـزاء

---

1 () البخاري مع الفتح، كتاب الأنبياء، باب حدثنا أبو اليمان 6/514، برقم 3477، 12/282، برقم 6929، وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد، باب غزوة أحد 3/1417، برقم 1792، وانظر: شرحه في الفتح 6/521، وشرح النووي لصحيح مسلم 12/148.

2 () انظر: شرح النووي لمسلم 12/148.

3 () شرح النووي على مسلم 12/150 بتصرف.

4 () البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب ما أصاب النبي من الجراح يوم أحد 7/372، برقم 4073، ومسلم، كتاب الجهاد، باب: اشتداد غضب الله على من قتله رسول الله 3/1417، 1793.

للدعاة فيما ينـالهم فـي سـبيل اللـه مـن أذى في أجسامهم، أو اضطهاد لحرياتهم، أو قضاء على حياتهم، فالنبي هو القدوة قد أوذي وصبر[1].

[1] () السيرة النبوية دروس وعبر ص 116.